

طموحات باشاغا تغير معادلة الحرب والسلام في طرابلس

الخلافت تنخر جبهة السراج والمرتزة الأترار يتقاتلون لاقتسام المغنم



عاد فتحي باشاغا وزير الداخلية في حكومة الوفاق مؤخرًا من رحلة خارجية، وهو محمّل بطموحات ووعود كبيرة ليحل مكان فايز السراج ويجلس على سدة المجلس الرئاسي حسب ما ذهب إليه متابعون للمشهد الليبي، الأمر الذي ضاعف من حدة التباين بينهما، وجعل الخلافت المكتومة تخرج إلى العلن في شكل اقتتال في أماكن متفرقة في طرابلس على المكاسب والمغنم، وهو ما يجعل جبهة فائز السراج في مهب صراعات قاسية قد تعجل برحيلها.



عبدالستار حنينة
كاتب مصري

في صباح الثالث من مارس، استيقظ سكان شارع الهضبة، المؤدي إلى مطار طرابلس، على أصوات إطلاق قذائف صاروخية. السماء غائمة، وسحب الدخان تغطي واجهات المباني. دوي الانفجارات بدأ يهز الجدران.

يقول إدريس، أحد سكان منطقة الهضبة، "اعتقدت، في البداية أنها مواجهات بين قوات الجيش الوطني الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر، وقوات حكومة الوفاق بقيادة فايز السراج، ثم اتضح لي ولجيرانني فيما بعد، أنها اشتباكات بين قوتين تابعين للمجلس الرئاسي لحكومة الوفاق هما الكتبية 301، وكتبية النواصي".

يُفترض أن هاتين الكتبتين تتبعان غرفة عمليات "بركان الغضب"، مع مجاميع مسلحة أخرى. وهي غرفة تحظى بدعم تركي ويرأسها السراج، ويدير من خلالها الحرب لمنع تقدم قوات الجيش الوطني إلى مقر حكمة في طرابلس. ويتبع الغرفة، اسمياً، بضع الوف من المقاتلين، ريعهم تقريبا من المرتزة والإرهابيين القادمين من تركيا، حيث يعملون مع الميليشيات المتباينة تحت اسم "القوات المساندة".



عبد الحكيم معتوق
فتحي باشاغا يطعم في شغل موقع فائز السراج

لم يتمكن السراج من خلق توافق وطني في بلاده منذ توقيع اتفاق الصخيرات أواخر 2015، وهو الاتفاق الذي أدى لتوليته رئاسة المجلس الرئاسي وحكومة الوفاق.

مع ذلك ما زال المجلس والحكومة يحظيان بدعم دولي، بيد أنه أصبح دعماً أقل من السابق. ففي عهد السراج استمرت الحروب، ونزح الآلاف من بيوتهم، وتدهور الاقتصاد، وارتفعت الأسعار، وتوقف تصدير النفط، وهو المصدر الرئيسي لإيرادات الدولة. تعج العاصمة، بعدد سكانها البالغ نحو مليوني نسمة حالياً، بالمشترات من المجموعات المسلحة المنحازة للسراج، مثل كتبتي 301 والنواصي، إلا أن الخلافات فيما بينها تؤدي بشكل متسارع إلى تغير سريع في معادلة الحرب والسلام في طرابلس.

من يتحكم في من

تجمّع الجيران في منزل إدريس، بعد أن هذا الاقتتال مساء، ودارت أسئلة بسيطة مع فنجانين الشاي الأخضر، حول من يتحكم في من؟ وكيف سيتم تطبيق هدنة لإسكات أصوات المدافع؟ حتى أشار أحدهم في إحباط، "لم يعد العالم يضع بلداناً على رأس أولوياته". وإضافة إلى رعب سكان طرابلس من قذائف الميليشيات الطائشة في الشوارع، جدّ فزع من وباء كورونا.

ويقول المحلل السياسي الليبي، عبد الحكيم معتوق لـ "العرب"، "الأسف يبدو أن الدنيا أصبحت مشغولة بمكافحة الفايروس، لا بملفات الاقتتال الداخلي في هذه الدولة أو تلك". وفي معركة شارع الهضبة، وقفت الميليشيات القادمة أساساً من مدينة مصراتة القوية (200 كيلومتر شرق طرابلس)، مع الكتبية 301، لأنها تنتمي

إلى مصراتة، ويقودها شاب غامض التوجهات يدعى عبدالسلام زويي. وكان أحد قادة الميدان في كتبته يامر مقاتليه عبر اللاسلكي "أضربوهم.. امسحوهم".

بينما سارعت ميليشيات ما يعرف بثوار طرابلس والردع، واللذان تنتميان أصلاً إلى العاصمة، لتعزيم قوة النواصي الطرابلسية، والتي كان يتولى قيادتها في ذلك الصباح، رجل يلقب بـ"الشيخ قدور"، اندفعت مدرعة فوقها مدفع عيار 14.5 ملم، إلى الأمام، وصاح أحد المقاتلين وهو يجري خلفها "الله أكبر".

وكانت ملامح الخلافات بين الميليشيات الطرابلسية والميليشيات المصرية حاضرة في المشهد بقوة منذ شهور، بينما كانت الميليشيات المحسوبة على مدينة الزنتان (جنوب غرب العاصمة)، تراقب الوضع.

معروف أن من يهيمن على ميليشيات الزنتان، هو أسامة الجويلي، قائد المنطقة العسكرية الغربية، المُعين من المجلس الرئاسي، إلا أن الميليشيات الزنتانية تتخوف دائماً من أي تنام لنفوذ قوات مصراتة داخل طرابلس. يُفترض أن كل هذا الخليط الميليشياوي المتربص ببعضه بعضاً بما فيه من أجناب، يعمل على منع الجيش الوطني من دخول طرابلس. لقد تقدم الجيش على أبواب العاصمة وفي محيطها منذ الرابع من أبريل الماضي، إلا أنه رضخ حتى الآن، لمطالب دولية بوقف إطلاق النار، مع ذلك يبدو أن لسان حال الميليشيات يقول "إذا تحرك الجيش توحدنا.. وإذا توقف اختلفنا".

وأكد محمد القشاش، رئيس جبهة النضال الوطني الليبية، لـ "العرب" أنه "حتى لو ظهر أن هذه الميليشيات منقسمة على نفسها، إلا أنها، في نهاية المطاف لديها توجه سيء، توجهها واحد، وهو الوقوف ضد الجيش الوطني".

وتيرة تنافس الميليشيات في طرابلس، زاد عليها أمران، وفقاً لما يشرحه قائد عسكري في غرفة عمليات "بركان الغضب" الأول هو خلاف قادة هذه القوات على ما يصل من أسلحة وذخيرة من تركيا، والثاني احتدام النزاع حول مسألة توزيع الأموال من الغرفة، كالأجور والمكافآت.

وهناك خلفيات أخرى حول هذا الموضوع أيضاً، فبعض القوات الطرابلسية والزنتانية، يتهم وزير الداخلية في حكومة الوفاق، فتحي باشاغا، ذا الأصول المصرية، بمحاباة قوات مدينته، سواء الموجودة

في طرابلس، مثل الكتبية 301، أو الموجودة في مصراتة. سبق لباشاغا مهاجمة الميليشيات المسلحة في بلاده منذ أواخر العام الماضي، وقال عنها، على قنوات التلفزيون "أنا لا أسميها مجموعات مسلحة، بل أسميها مافيات".

واتهمها كذلك بعرقلة عمل الحكومة، ولهذا "بول العالم تخلت عنا، وعن حكومة الوفاق، لأنها تعتبر حكومة الوفاق فشلت في كبح جماح هذه المجموعات المسلحة، وهؤلاء المجرمين الذين يمتشقون السلاح، والذين يتدخلون في أمور الدولة".

شجرت معظم الميليشيات الطرابلسية أنها هي، لا غيرها، المقصودة بـ "تلسين" باشاغا المستمر تجاه نشاطها المسلح في العاصمة، وعادت لتطلق اللب الذي تستدر به عطف الليبيين، وهو كلمة "الثوار". لقد اعتبر أحد نواب الشيخ قدور، في كتبية النواصي، ويدعى "ابودراع"، أن باشاغا "يضطهد الثوار".

على هذا كثرت كتبية النواصي عن أنيابها أكثر من السابق، وفتحت الباب لانضمام المزيد من المقاتلين في صفوفها مقابل 700 دولار للمقاتل الواحد شهرياً، ونشرت إعلانات بهذا المعنى في أحد معاقلها في ضاحية سوق الجمعة، القريبة من قاعدة معيتيقة، في الجانب الشمالي الشرقي من قلب طرابلس. كما تحالف معها، ضد باشاغا والقوات المصرية في طرابلس باقي قوات العاصمة، ومنها كتبية ثوار طرابلس والردع وتاجوراء، بينما ظلت قوات الزنتان تترقب.

الموقف من تركيا

منذ مطلع هذا العام لوحظ أن سياسات باشاغا وتوجهاته تغيرت طرقياً لم تكن متوقعة. فحتى أواخر العام الماضي كان في مركب واحدة مع السراج وميليشياته، حيث تفاخر الرجلان علانية بعقد اتفاقيات لترسيم الحدود والأمن والتعاون العسكري مع تركيا.

لكن وزير الداخلية أعلن فجأة في فبراير الماضي، أن الحكومة "لا تمنع في إقامة قاعدة عسكرية أميركية في ليبيا، إذا طلبت الولايات المتحدة ذلك، وأن هذا من شأنه أن يعزز التعاون بين البلدين في مجال مكافحة الإرهاب، والجريمة المنظمة، وإيقاف التدخلات العسكرية". أحد مسؤولي وزارة الداخلية المقربين

من باشاغا، قال لـ "العرب" "طالبنا عدم ذكر اسمه لأنه غير مخول له الحديث للإعلام، إن تصريحات الوزير بشأن التعاون مع واشنطن أثارت غضب الأترار في البداية، كما دفعت قادة في التنظيم الدولي لجماعة الإخوان، وهو تنظيم حليف لكل من انقره والدوحة، لمراجعة رهاناتهم على باشاغا".

وأضاف المسؤول نفسه، أن الوزير لم يقطع علاقة الود مع تركيا، رغم الريبة التي تلاحق زيارته ولقاءاته الأخيرة التي يجريها مع مسؤولين دوليين وسفراء أجانب.

وفوق هذا، ما زالت الأسلحة تأتي من تركيا عبر الطيران وعبر السفن، وما زال المقاتلون الأجانب القادمون من تركيا يتدفقون على ليبيا، وفقاً لتصريحات اللواء أحمد المسماري، المتحدث باسم الجيش الوطني.

المشكلة أن جانباً من الخلافات التي تقع بين حين وآخر بين ميليشيات مصراتة وطرابلس والزنتان، تتعلق بنصيب كل منها مما يأتي عبر تركيا من أسلحة ومقاتلين، ومن بين مصادر قلق الميليشيات الطرابلسية والزنتانية كذلك إلى ليبيا، يتم توجيهه إلى الميليشيات المصرية.

وسط هذه الأجواء تمكنت تركيا من خلق أذرع لها على الأرض في طرابلس، ومصراتة، وفي غريان (قرب الزنتان)، وفي كثير من الأحيان ترصد أجهزة أمنية في العاصمة تواصلاً مباشراً بين مسؤولين عسكريين أترار وقادة ميليشيات ميدانيين دون تنسيق يذكر مع السراج أو مع باشاغا، بحسب مصدر في جهاز مكافحة الإرهاب في طرابلس.

حدثت تغيرات جذرية ساهمت في خلط المزيد من الأوراق في الشهور الأخيرة. مثلاً، تبدل توجه كتبية الردع التي تسيطر على قاعدة معيتيقة؛ فبعد أن كانت تقف ضد حلف جماعة الإخوان و تركيا وقطر، ارتمت في أحضان هذا الحلف، ومنحت للأترار حلق التواجد العسكري في القاعدة.

أما المقاتلون المرتزة الذين أرسلتهم تركيا إلى ليبيا فقد أصبح ولاء العديد من قادتهم لمن يدفع رواتبهم، ولمن يدفع أكثر، وتوزعوا بين ميليشيات مصراتة وطرابلس والزنتان، ويُقاتلون بغض النظر عن هوية العدو، ففي الكثير من الأحيان يشترك مثل هؤلاء في حروب بين هذه الميليشيات وبعضها، كما حدث بين الكتبية 301 والنواصي في شارع الهضبة.

طموحات باشاغا

تعد مصراتة مدينة مهمة في معادلة الاستقرار في ليبيا؛ مدينة تجارية ثرية تقع على البحر المتوسط، وتعتبر الأكبر بعد بنغازي وطرابلس، ويوجد فيها كذلك المقر الرئيسي لحزب العدالة والبناء التابع لجماعة الإخوان. بدأ حزب الإخوان يشعر أخيراً

بضغط من لوبي رفض لوجوده وجماعته في المدينة، وهو لوبي يعادي التدخل التركي في شؤون ليبيا، ويعرف باسم "أحرار مصراتة". حدث ذلك بالتزامن مع تحركات باشاغا المحلية والدولية.

أخذت جماعة الإخوان في تطعيم ميليشيات طرابلس بالمزيد من الإرهابيين القادمين من تركيا، ففي محاولة منها لخلق باشاغا في العاصمة. ويقول معتوق إن "الوضع أصبح غريباً في طرابلس، وهناك اشتباكات كبيرة وصادمات وعرة، وهناك

انشقاقات عميقة داخل ميليشيات الوفاق

أيضاً قتل من الميليشيات على أيدي مرتزة من السوريين".

في المقابل تشير العديد من التكهّنات إلى أن باشاغا يحاول الاستقواء بالقوات المحسوبة على مدينته، وهي قوات ذات تسليح جيد، لكنها منقسمة على نفسها هي الأخرى، ويسعى باشاغا إلى بلورة رؤية لأطراف دولية معنية بليبيا، يقضي بها على الفوضى في العاصمة.

ومن بين المقترحات تخفيض عدد أعضاء المجلس الرئاسي إلى رئيس ونائبين، بدلاً من رئيس وثمانية نواب، مع فصل موقع رئيس المجلس الرئاسي عن موقع رئيس الحكومة.

ويعتقد معتوق، أن باشاغا يطمح في شغل موقع السراج، كما أن أطرافاً دولية ترى أنه يمكن أن يكون بديلاً، حيث يشغل موقع رئيس الحكومة الليبية بترتيبات معينة.

هذه الفرضية تأتي على خلفية مقترحات جرى طرحها في بضعة اجتماعات دولية أخيراً، عن إمكانية تعديل تركيبة المجلس الرئاسي، ويوضح معتوق الذي شغل من قبل موقع المستشار الإعلامي للمندوبية الليبية في الجامعة العربية، والمتحدث الرسمي السابق باسم الحكومة الليبية المؤقتة، "يبدو أن هناك وعداً لفتحي باشاغا من قبل الفرنسيين ومن قبل الأميركيين بأن يكون الرجل بديلاً للسراج".

ورغم كل شيء لا تشير تحركات باشاغا لمستقبل واضح المعالم في ليبيا، خاصة في ظل إهمال العالم للملف السياسي حالياً، وإهتمامه للملف الصحي بسبب كورونا، إلا أن أي خطة لنزع سلاح الميليشيات في طرابلس دون القيام بالمثل في مصراتة والزنتان من شأنها أن تؤدي إلى تفاقم حالة الاقتتال بين هذه الميليشيات من جهة، والاقتتال بينها وبين الجيش الوطني من جهة أخرى.

ومع ذلك، لا يرى القشاش أي حظوظ سياسية لباشاغا في حال تمكن الجيش الوطني من دخول طرابلس، قائلاً "باشاغا أحد مهندسي الفوضى، وانتصار الجيش سيهيئ دور كل هؤلاء جميعاً، أي باشاغا والسراج والميليشيات والمرتزة وكل الإرهابيين.

والسبب أن يتمكن الجيش من حسم الأمور في العاصمة، يعتقد القشاش أن الأعياب الميليشيات سوف تستمر مثلها مثل الأعياب جماعة الإخوان، "هؤلاء لا تمان لهم، توجههم واحد، وإن اختلفوا فإنهم يختلفون مثل اختلاف السراق على الغنيمه".



تحركات باشاغا لا تشير لمستقبل واضح المعالم في ليبيا، خاصة في ظل إهمال العالم للملف السياسي حالياً، وإهتمامه بالصحة بسبب كورونا